سلسلة رسائل قصص

الأنبياء والأولين

قابيل .. وهابيل

بقلم

محمد لبيب البوهى

obeikandl.com

المراجع

القرآن الكريم

الحديث الشريف

تفسير القرآن — للنسفي رضى الله عنه

قصص القرآن — للأستاذ جاد المولى بك

قصص الأنبياء — للثعلبي رضى الله عنه

ملحوظة : الحوار وحو القصة من تصوير المؤلف

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

آدم .. وحواء

أخرج آدم وحواء من الجنة فلقيا حالا غير الحال وحياة غير تلك الحياة الأولى . . . هنا لك كانت السعادة التى ليس إلى الاحاطة بها من سبيل . : وهنا على الأرض التعب والنصب .

والمرأة أكثر رغبة من الرجل فى الحياة الناعمة والعيش المترف الخفيض فأصبحت حواء على الأرض تديم النظر إلى السماء تقلب البصر فى الكواكب والنجوم كأنما تريد أن ترتفع إلى مكانها القديم . الأرض حولها فضاء من جميع أركانها ... صحراوات ممتدة الى غير لا نهاية . . . لا حدائق ولا جنات ولا قصور ولا أعنـــاب . . . والدنيا من حولها سكون عميق متصل قتال فهى لا تسمع شيئاً ولا تبصر أحداً .

لقد كانت فى الجنة لا تعرف ليلا ولا نهاراً .. لا صيفاً ولا شتاء ولكنها تستيقظ فى الصباح فترى قرصاً ذهبيا يتحرك رويداً رويداً من المشرق الى المغرب فى السماء . . أنها تهب من النوم اذا ما ظهر ذلك القرص الذى يضىء الكون فهى تحمده وتطيل النظر اليه دون

أن تفهم عنه شيئاً . . أن هذا القرص يلتمع ثم يرسل أشعة تمتد كالخيوط الذهبية تبدد رطوبة الأرض فتنعم حواء بالدفء . . ولكن هذه الأشعة تشتد ثم تشتد حتى تلهب جسد حواء بسياط من نار فتزدرى هذا القرص الثارى المحرق وتفر منه من هنا إلى هنالك ولا عاصم لها منه فانها تقيم على الأرض فى فضاء متصل حيث لا نبات ولا أشجار ولا بيوت .

أنها تبكى وتطيل البكاء وآدم يرقب كل هذا عن كثب فى صبر وجلد ويقول .

لقد هبطنا من الجنة ولا بد لنا من الكفاح مرة أخرى كى نعود إليها مرة ثانية .

ان الشمس تطارد حواء كل يوم وحواء تفر منها لتعتصم بظل آدم الزوج الحبيب من هذا الحر اللافح ولكن القرص الذهبى يجمع خيوطه وأشعته رويداً رويداً وينخفض من عليائه شيئاً فشيئا ويأخذ معه هذا الضياء الذى تحبه وتأنس إليه ويترك مكانه مرغما لظلام المساء الكثيف هذا الظلام الذى لم تكن تعرفه حواء فى الجنة فإذا بها تفرق فيه ولا ترى نفسها بل لا ترى آدم الحبيب فهى تتحسس طريقها إليه فتبكى مرة أخرى وتمعن فى البكاء من هذه الأطياف والأخيلة التى يجسمها لها الظلام . . أنها ما تكاد تحس خلاصا من

حرارة الشمس المحرقة حتى تشعر بشيء ثقيل يقرص جسدها الناعم العارى كالأبر . . ان هذا هو برد المساء .

وهكذا مرت الأيام . . والشهور . . والأعوام

* * *

وامتد قلق حواء من الوحدة القتالة . . والصمت المريع . . الأراضى الشاسعة التى لا يحدها البصر . . والجبال الشاهقة التى كأنها المردة الطوال والقرص الذهبي الذى يلهب جسدها بحرارته والظلام البغيض الذى يجسم لها الاشباح ويبعث اليها بالبرد يقرصها كالابر .

وأشد أوقاتها قلقا حين يتركها آدم ليذهب إلى مكان بعيد ليجلب شيئا من الماء أو شيئا من خشاش الأرض للطعام حتى اضطر أن يحفر لها فى الجبل مكانا تأوى اليه ثم اتخذ هـــذا المكان مأوى لها يقيها عناصر الطبيعة .

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد . . هنالك من البلاء ما هو أعظم هنالك صوت مريع قبيح . . ينبثق فى عنف من الجبـال . . صاخرا شامتا . . . وأن هذا الصوت القبيح يكاد يسد على حواء رحاب الفضاء فهو يلاحقها إذا أقامت ويسبقها حين تجرى ويهزها حين تقوم وينفذ إليها رغما عنها حين تضع أصابعها فى أذنيها فرارا منه

أنه صوت الشيطان .. ثالثهما على الأرض . فلم يكن على الأرض بعد إلا آدم وحواء والشيطان الذى أخرجهما من الجنة ثم أصبح ولا شغل له إلا الكيد لهما وها هو يبدأ برنامجه بهذا الصوت القبيح الذى هو أشد نكرا من فحيح الأفعى وأن ضحكاته التهكمية تضطرب لها أعصاب حواء ..

لقد كانت تخشى السكون . ، ولكنها أيضا تخشى هذا الصوت المنكر القبيح ولتترك حواء قليلا فى ألمها وقلقها وحزنها الشديد ولنبحث عن آدم .

أنه يعود كل يوم فى المساء من تجواله مهموما منهك القوى من هذا النضال الذى لم يكن يعرفه وان ذكرى الجنة ونعيمها لا يبرحان خياله ولكن هذه الذكرى تتصل بذكرى أخرى أشد مرارة على النفس هى ذكرى معصيته فتغرورق عيناه بالدموع ويبكى ويديم الإستغفار ويذكر اسم الله الأعظم . . وان آدم يستمع أطراف الليل وانا النهار إلى تسبيح الملائكة وأنه يستمع إلى تحياتهم اليه فيبكى شوقا اليهم والى الجنة والى الحياة فى ظل العرش .

هكذا كانت تنقضى أيام آدم .

* * *

وعاد آدم ذات مساء من تجواله اليومى فى سبيل العيش مسرور فضم حواء الى صدره وألقى اليها كلمات هبطت على نفسها برداً وسلاما فقد جاءه من علم الله انه تعالى سيؤنس وحشتهما بأولاد من صلبهما .

وطارت حواء فرحا بهذا النبأ السار فعاد آدم يقول :

وقد جاءنى من علم الله أنه سيكون من أولادنا من يعبد الله حق عبادته وأن هذا الفراغ المحيط بنا سيجعل فيه الله تعالى بعد زمن من الازمان بيوتا يرفع فيها ذكره تعالى وأن الله تعالى سيخص من هـــذه البيوت بيتا يؤثره باسمه تعالى وينطقه بعظمته ويحل به جلاله ويجعل هذا البيت حرما آمنا يحرم بحرمته ماحوله وما فوقه وما تحته فمن حرمه بهذه الحرمة استوجب كرامة الله ومن أخاف أهله فقد خفر ذمة الله واستوجب عذابه وسيجعل الله تعالى هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الى الله واستضافه فحق على الـــكريم أن يكرم وفده واضيافه وأن يسعف كلا بحاجته .

ثم أردف آدم يقول وحواء تنظر اليـــه مأخوذة من الاعجاب ولقد أكرمنا الله تعالى يا حواء فاعلمى .

انما سيعمر هذا البيت ثم يعمره الأمم والقرون والأنبياء من أولادنا أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن .

وكانت هذه بشرى طيبة أثلجت صدر حواء ففرحت كل الفرح. وقد اطمأن خاطرها وأدركت ان هذه الحكمة العليا تحدد للحياة أهدافا وترسم لها خطوطا فلن تكون الحياة على الأرض فراغا أو هباء وانما هي رسالة ذات أهداف .

وفرحت حواء إذ علمت أن الصلة بين الأرض والسماء لن تنقطع وان الله لن يتخلى عنها وعن أولادها فسيجعل الله منهم الأنبياء الذين يختصهم برسالات السماء وأدركت حواء فيما أدركت أن الله تعالى يريد للناس أن يتجمعوا دائما ويتعارفوا دائما ليعبدوه ويسبحوه وانه لما كانت هذه الأرض واسعة الرحاب ومترامية الأطراف وان الناس لو تركوا وشأنهم لذهب هذا يمينا وذاك شمالا ثم لا يفكر أحدهما في لقاء أخيه لذلك أراد الله سبحانه وتعالى لهم اللقاء لأن اللقاء تدارس وتجمع وتفاهم على محاربة الشيطان وحزب الجماعة أقوى من حزب الأفراد فحدد لهم مكانا يتجمعون فيه وهذا المكان سماه باسمه واتخذه لنفسه وقال انه بيته اشعاراً للناس بقدسية هذه الغاية فتتجه إلى هذا المكان الأبصار والقلوب من شتى بقاع الأرض .. فعند هذا البيت تتلاقى الأفئدة وتتجمع الأفكار وإلى هذا البيت يكون

السفر وعنده يكون اللقاء جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة .

وأخذت حواء رأسها بين يديها تفكر فى هذه المعانى الكبيرة التى لا تقوى عليها .. فما هذه الأجيال ..؟

وما هى هذه الأمم ..؟

وما هم هؤلاء الناس ..؟

أشياء شغلت بال حواء بشواغل جديدة . . لقـــد فهمت طرفا مما قاله آدم الذى أتاه الله من لدنه علما ولكنها لم تفهم أكثر ما سمعت فان المعانى غامضة غائبة فى بطن الغيب .

ولكن حسبها أنها إدركت أن للحياة على الأرض غاية وانها لن تكون وحدها وانما سيكون لها أبناء .. ومن هؤلاء الأبناء سيكون الأنبياء الذين يؤثرهم الله بتبليغ رسالاته لهداية الناس الى طريق الجنة .

واذن فقد فتحت الجنة أبوابها من جديد لها ولهؤلاء الأبناء وحسبها هذا من سعادة .

* * *

سياسة هابا

لقد رسمت حدود الدنيـــا . . وفى مركز الأرض رسم مكان

البيت . . وحددت الأزمان والأجيال والشعوب ووضع للحياة رسالة .. وهذا هو التصميم العام للحياة على الأرض .

فتفكر آدم فى هذا وبرزت فى ذهنه أسئلة لم يعرف لها جوابا فكيف سيكون نظام العمل . . وماهو نظام الانتاج .. وما هو الحلال وما هو الحرام ..؟

إن هذا هو العلم .. فكيف سيكون العلم على هذه الأرض ..؟

لقد سأل آدم ربه فقال له تعالى يا آدم إنى أجمع لك العلم كله فى أربع كلمات واحدة لى وواحدة لك وواحدة بينى وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس .

فأما التى لى فتعبدنى لاتشرك بى شيئا .

وأما التى لك فأجزيك بعملك .

وأما التى بينى وبينك فمنك الدعاء ومنى الإجابة .

وأما التى بينك وبين الناس فان ترضى لهم ماترضى لنفسك .

* * *

الخير والشر

لقد اطمأن آدم الى ما علمه من ربه من سياسة الأرض وماسيكون من شأنه ومن شأن أولاده وبذلك تم رسم الجانب الصالح

من الحياة ولكن لما كانت الأشياء لاتعرف إلا بضدها فان المال مثلا لايعرف قدره إلا إذا عرف ألم الحرمان ؛ ولايعرف قدر الصحة إلا متى ذاق الانسان المرض كذلك اقتضت حكمة الله تعالى وجود الشر على الأرض حتى يحذره الإنسان ويلوذ بالخير فالإنسان لن ينال الجنة إلا بطاعة الله وهذه الطاعة يجب أن يشعر الانسان انها حرمان له من بعض الشهوات واللذات فيجاهد نفسه ويقوى عليها طمعاً فى لذة أجمل واعظم عند الله .

فكان وجود الشر تحذيرا للانسان حتى يتجنبه ويتحول إلى طريق الخير فلو كانت الحياة خيراً محضاً لما عنى الانسان بطاعة ربه ولما تذكر أوامره ولأهمل كل الإهمال رسالات الرسل فما يهمه منها شيء مادامت النتيجة الحتمية أن يعود إلى الجنة فهو يدرك أن الجنة فى إنتظاره سواء عمل لها أو لم يعمل فكان وجود الشر هو الدافع له إلى إجتنابه خشية من النار وخشية من الخزى فى الحياة الدنيا .

فالشر اذن قد خلق لحكمة ولم يوجد عبثا .

* * *

وقد ذكرنا أن الأرض فى هذا الحين كان يعمرها ثلاثة : آدم وحواء والشيطان فلما تلقى آدم من ربه بشرى الحياة السعيدة .. رأى

الشيطان أن يتخذ أسلحته ويتوثب فقال يارب اخرجتنى رمن الجنة من أجل آدم وانى لا أستطيعه الا بسلطانك فقال تعالى أنت مسلط عليه حتى يحتزك ويأتينى ويلوذ بطاعتى .

فقال ابليس يارب زدنى .

قال تعالى لايولد له ولد إلا ولد لك مثله .

قال ابليس يارب زدنى

قال تعالى صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم .

قال يارب زدنى .

قال تعالى أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم ثم تذكرنى واستعاذ بى فسيعلم انك لا تعدهم إلا غروراً ان وجودك هو الشر الذى يجب عليهم أن يحذروه حتى لاينسونى .

* * *

رحمة الله

هنا رأى آدم أن الشيطان قد تسلح بأسلحة قوية فادرك أن الحياة السعيدة المشرقة التى رسمت حدودها لن تكون حياة دعة ولين وإنما

هى كفاح ونضال وتسابق للوصول إلى الجنة .. إذن فالحياة امتحان
ولقد خاف آدم على أبنائه هذا الامتحان فقال

يارب قد سلطته على وانى لا أمتنع عليه الا بك

قال تعالى لايولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء

قال آدم يارب زدنى

قال تعالى الحسنة بعشرة أمثالها وأزيدها والسيئة بمثلها واحدة وأمحوها .

قال آدم يارب زدنى

قال تعالى .. قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله .

قال آدم يارب زدنى

قال تعالى التوبة لا أنزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم

قال آدم يارب زدنى

قال تعالى أغفر ولا أبالى

* * *

obeikandl.com

واطمأن آدم وسجد لله شكرا و بكت عيناه فرحا فقد عمت رحمة الله أولاده .

* * *

الحمل .. والوضع

ومضت الأيام وآدم مشغول بهذه الأنوار التى فاضت عليه من السماء علما ودينا ومضت حواء بجانبه تفكر فى هذه الدنيا الجديدة التى ستكون ، وأخذت تجد السعادة فى هذا اللون المشرق من التفكير فى آمال المستقبل السعيد وهى تتصور من وراء الأجيال الأمم والشعوب التى ستكون من أولادها .

وفى خضم هذا التفكير بدأت تشعر بآلام فى أعضاء جسدها اعتد بها شهوراً فبشرها آدم بأن ذلك هو الحمل وبأن هذه الآلام التى تجدها هى ضريبة الأمومة وهى ضريبة الحياة التى تبذلها الأم من لحمها وأعصابها فى سبيل نفس أخرى تكون بضعة منها حتى يكون الوليد عزيزا لديها .

وبعد شهور الحمل وضعت حواء توأمين ذكراً وأنثى .

* * *

obeikandl.com

— ٣ —

قال بعض أهل العلم ان حواء كانت تلد لآدم توأمين فى كل بطن وكان جميع من ولدتهم حواء أربعين من ذكر وأنثى فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما ثم هابيل وتوأمته لبودا .

وبدأت الحياة تتخذ لونا جديدا فى هذه الأسرة السعيدة .

لقد كان آدم وحواء يشتركان من قبل فى البحث عن المأوى والطعام وافلاح الارض ورعى الأغنام ولكنهما رأيا تقسيم العمل بينهما فآدم للعمل خارج البيت وحواء لتربية الابناء الذين أصبحوا قرة عين لها وأصبحت تستعذب السهر عليهم لان ذلك اداء لرسالة الأمومة واعداد لهؤلاء الأبناء الذين ستكون منهم الأمم والشعوب

وكانت حواء تعلم ان الشيطان متربص لها ولزوجها وأبنائها وإنه كلما ولد لها وليد ولد للشيطان له قرين وبذلك تتكون عناصر الحرب بين السالب والموجب وبين الشر والخير وبين الشياطين وأولاد آدم فيكون لكل انسان من الناس شيطانه .

وكانت تعلم ان الشيطان يغذى أولاده بالحقد على آدم وبنيه ويعلمهم طرق الغوايه والاغراء .

فكانت من جانبها تستعين بالله وتعلم أولادها الحب والتعاون حتى يتغلبوا على نزعات الشياطين .

كان هنالك فريقان وكل فريق يعد للحرب الضروس عدتها .

قابيل ... وهابيل

كان قابيل هو الإبن الأول من الذكور وكان هابيل هو الابن الثانى من الذكور ولذلك أصبحا عونا لأبيهما فتولى قابيل القوى المتين فلاحة الأرض وتولى هابيل السياسى الحكيم رعاية الأغنام وهى مهنة الأنبياء .

وسارت الحياة سهلة مشرقة وكانت حواء تلحظ الصداقة القوية التى نشأت بين الأخوين فتباركها إذ ليس شىء أكثر سروراً للأم من أن ترى المحبة تجمع بين أولادها .

وفى مساء كل يوم تجتمع الأسرة السعيدة ويجلس آدم قرير العين يستمع إلى مافعل قابيل وهابيل طيلة يومهما ويحدثهما وينصحهما حتى إذا انتهى الحديث إلى ذكر الجنة أحاط به أولاده جميعاً يسألونه عن هذه الجنه التى مايفتأ هو وأمهم يذكرانها .

فيقول انها أجل من الوصف يا أولادى هنالك نشأنا وهنالك كنت أنا وأمكم ننعم بنعيم لاتعرفون مقداره ولم تكن هنالك أرض

ولا سماء ولا شمس ولا برد ولم نكن نشعر بتعب ولا مرض فيتلفت كل أخ إلى أخيه وهم يزدادون عجبا .

* * *

وذات مساء فاض بهابيل الشوق إلى هذه الجنة التي لا توصف فانتهز فرصة هذا الاجتماع اليومي السعيد للأسرة وسأل أباه آدم ألا من سبيل لنا إلى هـــذه الجنة . . . حيث لا شاغل للانسان كما حدثتنا الا عبادة الرحمن .. والتمتع بما من سعاده .

فقال آدم

نعم يابني . . العمل الصالح وطاعة الله على الأرض هي سبيلنا إلى الجنة .

فقال هابيل

انه أمر سهل لا مشقة فيه .

فأغضى آدم وقال .. ليس كما تتصور يابني انه يعيش بين ظهرانينا عدو جبار يقف حاجزا بيننا وبين الجنة .

ولم يكن أحد أولاده في هذه السن الرطبة قد رأى الشيطان أو تعرض لكيده فقال هابيل .

إذا كان هذا العدو يعيش بين ظهرانينا فلماذا لا نقتله . ؟

obeikandl.com

فقال آدم .

انك لإثراء يابني . . انه يجري من ابن آدم مجرى الدم فاذا رآك تلوذ بجانب الله انخنس وخسئ وانهار وإذا رآك تلوذ بنفسك وتنسى ربك تشمر وانتفش من الإزدهار وطية الى التكبر

فقال هابيل .

انني وجدت الله لم أره ولم أشعر به .

فقال آدم انك من خلال الله ...

... الذي يخلق ... وانكني أعني بذا الذي ... وتحزنه شيطانا ... يسير بأمر ... أنه ... أنه ... يأتيها ... يأمرها ... الباعة السياء ...

... من ... من ... لا أذكره ... لا أذكره ...

فصرخ به آدم غضبا . تلا الشيطان . انه الشيطان . . اياك ... أن تتخذه وليا . . . استغفر ربك يا قابيل

فضحك قابيل ولم يستقر

ونظرت سواء بأخوفة وهو تردد اسم الله وقاية من الشيطان حتى لا يقترب إلى هذا الجثمان الكريم ثم نظرت إلى أبيها هابيل ثانية وهما يتشاجران وأخذت تنظر إلى أبيها قابيل تارة وتارة أخرى إلى هابيل [illegible] أنها تود أن تقول لوالدها قابيل أشياء مؤلمة [illegible] بصيرتها أكثر مما تدرك الأفهام .

[illegible]

وهنالك غير بعيد من بيت آدم .. في بقعة تغمرها الأنوار والأزهار الطيبة الأريج يجلس نفر من الملائكة في مجلس تذيعت منهم روائح كريمة تفوح شيوخهم بالنور وحول الملائكة يتذاكرون هذه الدروس اليومية التي يلقيها عليهم أبوهم آدم فيرق صوته الرخيم المنحدر فاستمعوا له جميعاً وهو يقول .

ان هؤلاء الآدميين قد تقبل الله توبة أبيهم وطالت أيامه وعمرت الجنة وعمرت بي اللجنة التي انتقلت منها اليكم فسلمكم أجمعين .. لقد كان أبوهم سيداً في الجنة ولكنه تعاليت عن الاعتراف بسلطانه

وكنت سببا فى طرده وامرأته من الجنة فالحرب بيننا وبينهم يجب أن لايخمد لهيبها .

ان آدم قد وعد بالعودة الى الجنة وكذلك أولاده كى يصبحوا مرة أخرى فيها سادة ولكن يجب أن نكرس حياتنا الطويلة الشقية لكى نحرمهم من هذا النعيم الذى ينتظرهم .

فى أول الحياة هبط أبوهم معى الى الأرض بتدبيرى

وفى نهاية الحياة يجب أن يحشر هو وأولاده معكم فى النار ذلك هو درسى الأول والأخير .. وذلك هو الانتقام ادفعوهم الى المعصية فاذا تابوا واستعاذوا بربهم فادفعوهم الى المعصية مرة أخرى علينا أن ننصب لهم الشباك من بعيد وهم لا يرونا وعلينا أن نزخرف لهم المنكر ونصبه فى قالب من قوالب الخير لينخدعوا .

وإنى أوصيكم بوصية لن أنفك عن تكرارها لقد اتخذت من المرأة سلاحا فى إغراء أبيهم وعليكم أنتم دائماً أن تستعينوا بالمرأة . . المرأة هى أمضى سلاح فى يد الشيطان . . ومن عجب أن الانسان سيجلب هذا السلاح الذى نحاربه به .

فوجهوا كل عنايتكم نحو المرأة .. لأنها ضعيفة ولأنه يسهل بسبب مداجتها وبساطتها أن تصدقنا وتنخدع ومتى انخدعت تبعها الرجل لأنه يحبها ويحب مرضاتها .

خذوها قاعدة ... إختاروا دائما المرأة الجميلة فهى الخيط الذى تشدونه على أعناق الرجال .

ثم اردف ابليس يقول .

وفى هذه الأيام أوشك ولدا آدم قابيل وهابيل أن يصلا الى سن الرشد فالفرصة أمامكم مهيأة .. ففى هذه السن تلعب غريزة الجنس فى الانسان دورها الخطير ويحن حنينا متصلا إلى المرأة حتى يتم بهذا الحنان مايدعونه زواجاً لحفظ النوع البشرى

إن إقليما هذه الفتاة التى ترونها كل يوم هى أجمل بنات حواء وقد خلق آدم من ربه أن يجعل اقليما زوجة لهابيل العنيد الذى يدعى الحكمة ويرعى الأغنام فعلينا أن نلعب دوراً عنيفا ونجعل من هذا الأمر معصية ومأساة عليكم جميعا أن تنفخوا فى صدر قابيل وهو سهل كالعجينة فى يدنا فزينوا له حسن اقليما واحملوا صورتها إلى خياله واشغلوه بحسنها .

وهيئوا الجو لمأساة عائلية ومعصية تكون هى المعصية الأولى على الأرض واحذروا ثم احذروا أن تخيبوا

اجعلوا من هذا الحب أساس الجريمة الأولى التى يجب أن تلوث أديم الأرض التى ماتزال بكرا طاهرة حتى اليوم ... إن الله حرم القتل فعليكم أنتم أن تزعموا لبنى البشر أن القتل نصر للمحب الولهان

وأمرنا الله بأمرهم بالعفو والتسامح فعلينا أن نبادر في تلبية أمر
المخلصية والتسامح .

وحاول أحدهم أن يقول أن تلك مهمة شاقة

فصرخ أبليس من أعلى الجبل أمر الله وقال . . . . .
وجدت امرأة جميلة . . فليس شيء بعد ذلك شاقا

والآن انطلقوا إلى العمل

. . . .

وهبت زوبعة عنيفة من الجبل الذي يحاورهم وهم يتحدثون فحملت
الرمال وهطلت الأمطار بعد ذلك وأرعد الرعد فاستولى الذهول عليهم
ابتلعتهم الأرض

obeikandl.com

حواء تعظ ابنتها

[illegible] فكرة الهجرة التي [illegible] تتسلل خاطرها [illegible] بعد أن انصرف آدم وولداه قابيل وهابيل إلى العمل اليومي [illegible] ابنتاها [illegible] أقليما جلست تحدثها فقالت لأقليما :

[illegible] أن [illegible] من الاختلاط [illegible] يا عزيزتي أن الله [illegible] من [illegible] الشيطان [illegible] عزة النفس [illegible] الأرض [illegible] هذا [illegible] الذي [illegible] الله [illegible] يجب عليك رعايته وحمايته [illegible] التي [illegible] منها أبوك ... أن الله [illegible] الحلال [illegible] من الدنس [illegible] الشيطان [illegible] والتبرج أمام اخوتك حتى لا يثير هما الشيطان فتنة عارمة

فطأطأت أقليما رأسها حياء ونطقت أساريرها بما يعتمل في صدرها من القبول وتقدير النصيحة .

ثم التفتت حواء الى ليودا وقالت :

وأما أنت يا عزيزتى ليودا فإن الله تعالى قد أعطاك حسنا وجمالا من نوع آخر . . بل قد يكون جمالك أقرب الى الكمال من الحسن الظاهرى فقد منحك طهارة فى القلب وذكاء فى الفؤاد وذلك جمال الروح وهو جمال مستمد من قبس الله فاشكرى الله يا فتاتى على نعمائه وسبحى له بالعشى والإيصال على هذه النعمة التى حماك بها من همزات الشياطين .

واستدركت حواء توجه الحديث اليهما معا فقالت :

وان الله تعالى قد قسم حسن المرأة الى قسمين . . قسم ظاهرى كهذا الحسن الذى يتضح به وجهك اقليا . . وحسن باطنى كهذا الحسن الهادىء الوديع النبيل الذى يفيض من روحك الطاهرة يا ليودا ثم ظهر الالم على وجه حواء وهى تقول

ولكن الرجل من أبنائى سيأسره فى أغلب الأمر ذلك الحسن الظاهرى البراق ويدفع به الى شىء يسمونه الحب وهذا الحب سيكون فى أغلب أحواله قويا فوارا يغلى فى عروق الرجل غليانا وقد يشتعل كالنار حتى يحرق الرجل نفسه ويحرق كل شىء حوله .

ثم خفت تقطيب وجهها وعبر وجه حواء عن شىء من الارتياح وقالت

ولكن قلة من ذوى البصيرة من أبنائى الرجال سينفذون ببصيرتهم الى عالم الروح فيستشفون نبل الروح وطهارة قلب المرأة فيكون الحب هادئا لا يغلى فى العروق ولا يفور فى الدماء وانما يفيض بالنور ويضىء للرجل وللمرأة سبيل الحياة السعيدة

ثم أردفت تقول

انى لا أخشى عليك الفتنة يا لبودا ولكن ساعدينى يا عزيزتى أن نحمى أختك أقليما من مزالق النفس ووساوس الشيطان .

أول غرام على الأرض

كان قابيل وهابيل يقومان مع الفجر للصلاة مع أبيهما آدم ... فيؤدى هابيل صلاة حارة كلها خشوع وضراعة وبكاء شوقا إلى الجنة

ويصلى قابيل صلاة رمزية خاطفة لاخشوع فيها منصرف النفس فى الأيام الأخيرة إلى فكرة قد شغلت لبه .. واستبدت بعقله وما تنفك هذه الفكرة تزداد على الايام رسوخا فى ذهنه .

لقد تعود فى الايام الأخيرة الانزواء والانصراف عن أخيه فاذا كان هابيل يمر وهو يرعى أغنامه بحقل قابيل جامه هاشا باشا يريد أن

يتحدث اليه عن هذا الهم الذى يشغله نظر اليه قابيل نظرة ثم أعطاه ظهره وانصرف عنه .

وفى ذات صباح كانت اقليما قد خرجت إلى الحقل تجمع البقول لطعام الأسرة فتصدى لها قابيل وامسك بذراعها فنظرت فى أبصارها حياء فانتهرها وقال لماذا تنظرين من عينيك هكذا .

فقالت اقليما . . لقد أمرتنى أمنا أن لا أطيل النظر الى أحد فقال ولكنى أخوك يا اقليما

قالت انك حرام على يا قابيل

فثار قابيل وهزها هزاً عنيفا وهو يردد ماهذا الهراء . . انك لى وحدى ولو انطبقت السماء على الأرض انك بجسمك وروحك وحسنك الفتان ملك يمينى . . لقد ولدنا معاً فى بطن واحد ولذلك فأنا أحق الناس بك

فأجابت ان أبانا يقول يا قابيل . .

فقهرها . . اسكتى يافتاة . . لاتتحدثى عن أحد . . إنما أنا الذى أقول .

ان أمى تقول ياقابيل

فتبريها مرة أخرى . . قلت اسكتى يافتاة . . فان استمع الى حديث سيرى هذا الحديث الرائع الجميل الذى يفيض عذوبة والذى يأتينى مع الهواء من بعيد من حيث لا أعرف فيوقد فى نفسى نارا تتقلب بحبك حتى اذا اندلعت هذه النار فى أوصالى تبدت لى صورتك يا اقليما فأناجى طيفك فى الخيال كأن عندك وحدك الماء العذب الذى يطفىء مايتأجج فى نفسى من حرارة الظمأ الى الحسن .

فقالت أنا لاأفهم هذا يافابيل وما يليق بك أن تقوله لى ونحن فى خلوة ما كان يجب أن تكون بيننا فان الخلوة سلاح الشيطان .

فضحك قابيل وقال .. شيطان .. اذا كان الشيطان هو الذى يهيى هذه الخلوة فياله من صديق مخلص محبوب .

ثم اردف يقول

لقد سمعت أبى يتحدث عن الجنة التى جاء منها وأنا لا أهتم بهذه الجنة وأنا على أتم استعداد أن أبذل حظى منها فى سبيل الحصول عليك ياحبوبتى .

فقالت اقليما .. هذا ليس من شأنى ولا هو من شأنك وإنما أبى هو الذى يتلقى أمر الله فينا لعمارة الأرض على أساس سليم .
دعى الارض وعمارتها فما يهمنى عمارها ولا خرابها . . واتركى

هذا الهراء .. واعلمى أن أباك قد عصى ربه فى الجنة . . وسأكون أنا فى سبيل حسنك الفتان أول عاص على الارض . .

فوجلت اقليما وقالت ستكون من أبناء النار

فضحك وقال مرحبا بالنار لو كان فيها الفوز بحسنك

قالت .. صه .. انك تخطىء

قال لاأبالى

فقالت إذن دعنى وهمت أن تنصرف غاضبة مولية فاستدار اليها غاضبا يريد أن يمسك بها فانفلتت هائمة وعادت الى البيت .

* * *

obeikandl.com

الرجل الصالح

كان هابيل قابعاً فى ظل صخرة فى الجبل وأمامه الأغنام ترعى قد وضع بين يديه بعض الحشائش الطرية جمعها خصيصا لشاة حديثة الولادة وقد انصرف بكليته إلى أخرى قد أصابها جرح فهو يعالج جرحها فى رفق وعطف فانه إنسان صالح مشرق النفس بالخير يفيض قلبه بنور الايمان الذى يغمر كل شىء حوله بجمال هادىء محبب إلى نفسه فان المؤمن الصادق الإيمان مثله كمثل الرسام الذى يضفى بريشته ألوان الحياة التى يحبها حتى يبدو كل شىء لأبصاره جميلا .

لقد كان هابيل ينعم النظر فى كل شىء حوله مأخوذاً بروعة الكون فيتفكر فى خالقه وهو ما ينفك يسبح ربه كلما اتجه بأنظاره ذات اليمين أو ذات الشمال .

وفجأة رأى أخاه مقبلا نحوه فى ثورة نفسية تشى بها اضطرابه خطاه وغضبه البادى على وجهه فان عينيه لتكادان تشتعلان غضبا لقد أبصره هابيل وكأنما رآه لايأتى وحده ان خلفه شبح أسود ينشر فى الجو ظلاما ثقيلا فادرك ان أخاه قد جاء بصحبة الشيطان .

obeikandl.com

فقام اليه يرحب به ويلتقيه بالابتسام وأراد أن يقبله ويضمه إلى صدره ولكنه نحى يديه فى خشوع وكان بينهما الحديث التالى :

هابيل ـــ أهلا وسهلا يا قابيل لقد جئت الآن تشاركنى مسراتى فى هذا الجو الشعرى السعيد .

قابيل ـــ دع هذه الخرافة .. فأنى لا أبصر شيئا مما تقول

ـــ هذه النعم الفياضة علينا يا قابيل . !! أتنكرها . . ؟ تمالك أنظر عن يمينك وعن شمالك وامعن النظر فى هذه التلال والجبال من الذى أرساها . ؟ أليس هو الله رب العالمين .. أنظر يا قابيل إلى هذه الأنعام التى ترعى هذا الكلأ .. من الذى أنبت لها العشب وجعلها لنا رزقا . . ؟

أليس هو الله رب العالمين .

أنظر الى هذه السماوات التى قامت على غير عمد .. من الذى رفعها على هذا الوضع العظيم . . ؟

أليس هو الله رب العالمين .

أنظر يا قابيل الى تعاقب الليل والنهار فى نظام دقيق ولكل مواقيت معلومة من الذى حدد هذه المواقيت .

أليس هو الله رب العالمين .

بل أنظر ياقابيل إلى نفسك .. من الذى خلقك بشراً سويا) . ؟

بل أنظر إلى عينيك كيف تبصران وبنانك الأنمل من الإصبع الأبهى من الأصغر .

أنظر ياقابيل إلى عقلك كيف يفكر وكيف يستوعب هذه الآفاق على صغر حجمه وضآلته

وتذكر أن الله وحده هو الذى أنعم عليك بكل هذا

قابيل ، ضجراً ، كفى كفى هذيانا فأنى ماجئت الآن أهزل بل جئت لأمر كله جد .

هابيل .. ياسبحان الله هل هنالك ماهو أكثر جداً وحقا من التفكير فى خلق السموات والارض وعبادة الله الرحمن الرحيم

قابيل ــ هنالك غير هذا .. تلك النكبة النكباء التى تنسج أنت خيوطها حولى فى الظلام .

هابيل ــ منزعجا .. أنا .. !! ؟

قابيل ــ لقد رأيت الآن أقليما وتحدثت اليها

هابيل ــ ضاحكا .. وهل هذه هى النكبة

قابيل ــ وانى أحبها كل الحب

هابيل — في هدوء ، هذا مالاشك فيه فهي أختنا

قابيل — ولكنني أدرك أن حبي لها يسوءك ياهابيل

هابيل — لقد أوشكت أن تعرف فان حب الأخ لأخته أمر مفروض مقطوع به

قابيل — لاتتخابث فان حبي لها ليس من ذلك النوع الفلسفي الذي تستغرق في تحليله فتقول أنه الهام من نور الإيمان وانه حب تباركه السماء . . ان هذه المعاني قد تنطبق عليك في حبك لهذه الشاه أو ذلك الحقل أو تلك النجوم . . أما حبي أنا لاقليما فهو حب من نوع آخر . . حب ملتهب

هابيل — انى أفهم أن الحب كله خير وأنه سبيل الانسان الى الجنة .

قابيل — ولكن حبي أنا لاقليما قد يكون سبيلا إلى النار

هابيل — أنا لاأفهم ماذا تعني .

قابيل — بل أنت تكذب . . أنك تحاور وتناور في الحديث وأنت تزيد وراء فلسفتك هذه أن تستأثر باقليما فتتزوجها وأحرم أنا منها .

هابيل — هذا كلام أسمعه للمرة الاولى . . فان زواجنا أمر

كول لابينا وهو يتلقى دائما توجيهات السماء

قابيل — ولذلك أقول أنك وأباك تتآمران على ذلك

هابيل — « منزعجا » أن هذا الكلام ليس كلامك ياقابيل . . شيطان هو الذى يتحدث على لسانك

قابيل — لو كان الشيطان ينيلنى اقليما لاتخذته لى وليا

هابيل — انك توشك أن تتردى فى هاوية الضلال . . فتحدث أبيك فى هذا الامر عسى أن يجيبك اليه مادام يرى لك فيه الخير . ذا أقر أبونا بحكمته هذه الرغبة فانى أبارك لك هذا الزواج

قابيل — نعم سأتحدث الى أبى . . . ولكنى أحذرك بل أنذرك

هابيل — عفا الله عنك ياقابيل . . استعذ بالله . . وكن أهدأ ا أنت

قابيل — احتفظ بهذه النصيحة لنفسك . . وإياك أن تلقنى بهذه لابتسامة التى تشعرنى أنك تخدرنى بها . . وكلمة أخيرة اياك أن تحوم حول اقليما

وتركه وتولى دون أن يلقى اليه السلام . . لقد كان الشيطان هو لذى يدفعه

ثم .. وثابل

وانصرف قابيل وقلبه من الغيظ كأنه مرجل يغلي وهو أعصابه دماء تكاد تلهب ولم يكن يعد قد لقي مصارعة في رشقة أو صعابا .. ولكن الحب الشهواني دائما يؤجج نار النفس ويعمي البصيرة ويخلق في ذهن صاحبه الاوهام والظنون فيخال كل انسان عزولا وأن الدنيا تقف له بالمرصاد ويقف بجانبه الشيطان يزكي هذه الشهوة ويلونها أشكالا وألوانا فيتخبط وينفذ صوابه ويستذيبه الشر والتحدي وهو يرى في ذلك تضحية لابد منها للفوز بما يبغي

فأولئك الذين ينتحرون عند فشلهم في هذا الحب الجثماني العارم العنيف إنما يندفعون بقوة وهم قاهر يحسم التوافه من الامور وأولئك الذين يخاصمون أهليهم ولا يستمعون إلى النصح إنما يندفعون بعصبية خرقاء يخالون معها أن حياتهم تصبح لا معنى لها بغير هذه اللذة العارمة .

وخير دواء لمثل هذا الحال هو الزمن فان الذين تركوا لهذه الشهوة العارمة بعض الوقت ليعالجوا أمرها تارة من هنا وتارة من هناك

.يتخلى عقولهم فكلما ألح عليهم الشيطان وفتح لهم من عالم اللذة بابا
د بابه عند العقل وكلما القى الشيطان ناراً أطفأها ذكر الحق وتحليل
لأمور وبذلك هدأت هذه الثورة واستعادوا سلطانهم على أنفسهم

* * *

لقد كان الشيطان يجمع كل أعوانه خلف قابيل ليدفعوه وكان
بيل فريسة سهلة للشر وكان شأنه شأن العاشق الاحمق الذى يظن
بتسامة الناس له سخرية وحديثهم خداعا ونصائحهم شراكا فاندفع
لى أبيه آدم ولم يكن يجرؤ من قبل أن يرفع عنـــده صوته أو
عد اليه بصره ولكن الشهوة العارمة تكسب صاحبها مايظنه فى مثل
ذا الحال شجاعة وما هى الا تهور وطيش

لقد أعلن قابيل عند أول لقاء أنه يريد أن يتزوج اقليما

فقال آدم ـــ ولكن ماهكذا يكون الامر ياقابيل.. لقد كنت
فكر حقا فى زواجك وزواج أخيك هابيل .. ولو لم تتحدث أنت
لى لتحدثت أنا اليكما

قابيل ـــ انى أريد اقليما

آدم ـــ انى أفهم هذا تماما يا قابيل من اسلوب حديثك فأن
العاطفة الهادئة النبيلة تكون دائما مشوبة بالرقة فى الطلب والحياء فى

العرض لأن الحياء جزء من الايمان وانما هذا القول السافر والتحديد الحاد فلن يكون الا من قلب تنقصه أشياء

قابيل — انني أريد أن أتزوج اقليما

آدم — أن الزواج ياقابيل مشاركة بين الرجل والمرأة فى الحياة التى كتبت علينا فوق هذه الأرض وهذه المشاركة تقتضى التفاهم التام وتعاطف القلوب ولكن الذين يهملون هذا ويؤخذون بلذة الجسد انما يقعون فريسة للانانية الطاغية التى توفر لهم لذة حسية قد تنأى بهم كثيرا عن حقائق الحياة ... أجبنى فى صراحة ياقابيل .. هل تحب حقا اقليما . . ؟

قابيل « فى جرأة » — نعم

آدم — وما هى علامات هذا الحب

قابيل — انني أريد أن أتزوجها

آدم — اجبنى وأصدق فى الجواب ياقابيل .. هل ترى فى أختك لبودا من عيب

قابيل — لا أدرى ولكنى أحب فقط اقليما

آدم — ماهو أول شىء يجذبك اليها حين تراها . . أتظن أنه وجهها الحسن الوضىء

قابيل — نعم

آدم — فلنتصور مثلا ياقابيل أن هذا الوجه الحسن الذى تحمله ليما قد انتقل فأصبح على جسد لبودا فهل يظل حبك باقيا لأقليما يتحول .

قابيل — كلا .. بل كنت أحب لبودا

آدم — إذن فأنت تحب فقط هذه القطعة من اللحم والعظام التى سمى الوجـــه ولا تهمك اقليما من حيث عاداتها أو خصالها أو كبيرها .

قابيل — نعم

آدم — ولو فرضنا أن اقليما قد أصيبت بتشويه فى وجهها ففقدت حدى عينيها مثلا أو أستطال أنفها وتضخم أتصر إذن على أن زوجها .

قابيل — يطرق مفكراً دون أن يجيب

آدم — ان الذى تسميه أنت حبا ليس من الحب فى شىء .. ه اشتهاء لهذا الحسن .. ومتى أصبح هذا الحسن ملك يديك شهوراً أعواما فأنت ستمله حتما وتنصرف عنه .. ان الشهوة لا تصلح ساسا للحياة وقد طردنا من الجنة بسبب شهوة عارضة

قابيل — أريد أن أتزوج اقليما لأني اذا لم أتزوجها هلكت

آدم — يوهب أن اقليما ترفض أن تتخذك زوجا

قابيل — انها لابد تبقى مادمت أنا أحبها

آدم — ومن قال لك هذا . . ؟

قابيل — قلبي يحدثني بأن الحب دائما محبوب

آدم — أنظر إلى هذه الشاه هل تحب أنت أن تأكل لحمها

قابيل — نعم

آدم — وهل تظن أن هذه الشاه تحب أن تكون طعاما لك

قابيل — هنالك فارق بين الطعام والحب

آدم — لاتتحدث عن الحب . . وانما تحدث عن الشهوة فأنت تشتهي اقليما كما تشتهي أكل لحم الشاه ولا فارق بين الاثنين إلا أن هذه شهوة الجنس وتلك شهوة الطعام

* * *

« يظهر هابيل قادما من بعيد يدفع أغنامه فينادي آدم فيقبل عليهما ويقرؤهما السلام »

آدم — انك ياهابيل قد بلغت سن الرجال . . فحدثني ماذا تعرف عن الزواج

هابيل — انني أراك أنت وأمي مثلين صالحين فى عبادة الله وفى عمارة الأرض فلا بد أن يكون هذا هو الزواج

آدم — هل أفهم من ذلك أنك ترى فى الزواج رأيا صالحا يحببه اليك .

هابيل « مغضيا فى حياء » — قد يكون هذا

آدم — إذن فانى أريد أن تتخذ لك زوجه

هابيل — لك الأمر وعلى الطاعة

آدم — وعليك أن تختار إحدى أختيك .. أما اقليما .. وأما لبودا

هابيل — أن الله تعالى قد أعطاك من لدنه علما فانت الذى تأمر بما ترى فيه الخير .

آدم — وأنى أريد أن أتبين رغبتك

هابيل — أننا لانعيش وحدنا على الأرض .. أن الشيطان يمكر بنا وهو للانسان عدو مبين والزواج هو نقطة التحول فى حياة الإنسان إلى طريق جديد قد يكون فيه الخير وقد يكون فيه الشر واذا تركت لنفسى فى الاختيار فاخشى ان يحبب الشيطان الى هذه النفس ما يرى فيه الشر اما إذا ترك الرأى لمن هو أكبر سنا واكثر حكمة فقد يبارك الله هذا الاختيار .

آدم .. اسمعت يا قابيل

قابيل .. أنا لا أسمع الا صدى نفسى

آدم .. ولكن الزواج يا هابيل فيه متعة للإنسان .. ولعلك ترى وجه اقليما اكثر حسنا من وجه ليودا فهى قد تكون اكثر امتاعا للزوج .

هابيل .. قد يكون ذلك صحيحا يا أبى إذا كانت نعمة الزوج قاصره على متاع النظر فحسب .. أما وأن الحياة اكثر عمقا من مجرد النظر إلى ما يبدو حسنا فى الظاهر فإن صلاح الزوجه قد يكون فى صفاء نفسها وطيب قلبها واستعدادها لمشاركة الرجل فى كفاح الحياه

ثم انى أخشى أن يكون الجمال الظاهرى عند المرأة وقد علمنا أنها أقل من الرجل عقلا وادراكا لحقائق الأمور دافعا لها الى الطيش اذا لم يكمل هذا الحسن الخارجى بجمال الباطن

قابيل « فرحا » اذن فأنت لاترى مانعا من زواجك من ليودا وبذلك تصبح اقليما من نصيبى

هابيل — اذا شاء أبى فانى لا أملك لنفسى معه أمرا

آدم « بعد اطراق » ان اقليما هى أخت قابيل من بطن واحد كما أن ليودا أخت لهابيل من بطن واحد كذلك وأن الله تعالى يأمر أن يتزوج كل أخ أختا له من بطن آخر

قابيل : كلا .. لن أتزوج لبودا الدميمة بل لابد من اقلي

آدم — دعه يا قابيل .. أنك توشك أن تعصى أمر الله

قابيل : فى حدة — وقد عصيته أنت من قبل

* * *

وانطلقت من بين آدم دموع غزار لقد ذكره هذا الابن العاق بما كان يجب دائما أن ينساه . لقد اجتاحه الالم بأطرق ولم يجب

وانفتل قابيل مندفعا فى قوة إلى الجبل وتلاه هابيل يرعى أغنامه وتركا آدم غارقا فى أفكاره

* * *

لقد تراءت أحداث الماضى أمام آدم الواحدة تلو الأخرى وارتد بفكره الى هذه السعادة الصافية التى حطمها بمعصيته فى الجنة وما كان من غضب الله عليه .. وارتجف جسده خوفا ولكنه تذكر التوبة فانسابت اليه نسمات رطبت كبده وتراءت له صورة الشيطان وهو يأخذ بتلابيب ابنه قابيل

فأدرك أن الحرب بينه وبين الشيطان قد بدأت تدخل فى طور جديد فقد بدأ الرجيم الملعون يمد أصبعه فى حياة الأسرة الوادعة

بالمادة ليقابلها [illegible] بأسبابها [illegible] أفرادها ويلتقي بذلك الإثم والعدوان

أدرك آدم أن أحفاده [illegible] أن [illegible] الأرض التي [illegible] من هذا الصراع

[illegible] دوراً [illegible] ما [illegible]

[illegible]

[illegible] كما [illegible] كل [illegible]

[illegible] في بعض العصور [illegible] الناس من

obeikandl.com

الظلام، الى الذين يرون أن الرجال يفترون بأنفسهم عن هذه الملذات، وبالتبرج تستلفت المرأة الرجل وتتغلغل في مشاعره حتى تتحكم في تصرفاته، أولئك الذين يقولون بالطبيعة والغريزة

ومن هذه الأمثلة يتضح لكل عاقل أن الله لم يخلق المرأة لتكون مجرداً وعبئاً يعيش به الرجل

وإذا كان الله قد خلق المرأة لتكون مثيراً للرجل فلماذا لا تجذبها النساء فينجذبن

فأريد أن أعرف ما هي الحكمة الإلهية في أن يخلق الله المرأة أن يثير الشيطان رغبة الرجال [illegible]

وكما كان آدم في جنة الرضى قبل أن تخلق المرأة يستطيع الى جنات ابدية الحرية تحت عناية الله ورعايته

ان الدنيا حياة قصيرة وأن الله سيحاسبكم عما تفعلون فانظروا كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء

وانذارنا هو والمستقبل التي ملأته بذهب آدم رويداً رويداً وارتمت في أحضان الأمر الى هذه المعصية التي يوشك أن يتردى في حبائلها كل جيل

* * *

القـــربان

وأصبح آدم دائم التفكير مشغول البال فان الشيطان يوشك أن يضرب ضربته فيوقد نار هذه الفتنة الجديدة التى تقف على الابواب واذا كان هذا مايحدث للبشر وهم أفراد يعدون على الاصابع فكيف تكون الفتنة اذا بلغوا الالوف أو الملايين

وقد زاد فى هم آدم أنه أصبح يرى الشيطان يكثر من زيارة هذه الاماكن فاذا رأى قابيل سار خلفه ملاحقا له كأنه الظل لقد فتح قابيل صدره لنزعات الشيطان وأسلم اليه قياده وعبثا حاول أبوه أن يرده الى جادة الصواب

وكانت حواء تشاطر آدم هذا الحزن فهى تنظر الى ابنتها اقليما وقد جرت عادة الامهات أن يفرحن بجمال بناتهن ولكن حـــواء أصبحت ترى فى هذا الجمال الذى أسر لب قابيل نكبة عظمى فتمنت لو ولدت اقليما هذه دميمة شوهاء إذن لاستتب الامر وظلت السعادة تظل سماء هذه الاسرة الوادعة

obeikandl.com

فيا لحكمة الاقدار التى تخفى حكمتها على الناس فان الانسان قد يتمنى الشيء وفى تحقيقه هلاكه ولو كشف له غطاء الزمن لآثر أن يفر مما يلح فى طلبه ويبذل فى سبيله كل مرتخص وغال

هذه اقليما ولدت جميلة يكاد حسنها يضيء ظلام الليل ولعل أحداً لم يكن أكثر فرحا بجمالها من حواء إذ تلقت هذه الابنة الرائعة الحسن ولكن بعد أن تقدم الزمن رأت حواء أن هـــذا الحسن سيقوض بنيان سعادة الأسرة من الأساس فهاهى بين الحزن والبكاء تتمنى لو ولدت اقليما دميمة شوهاء أو لو لم يكن لهذه الابنة على الأرض حياة

لم يكن آدم وحده هو الذى يسعى على الأرض مهموما يفكر ولكن كانت حواء أيضا تنوء بحزن فوق الاحتمال

وذلك شأن الآباء والأمهات .

* * *

وأخيراً عاد آدم هادىء النفس قرير العين من جولة فى شعاب الجبل لقد الهم من الله تعالى الهاما أن يدع أمر ابنه للسماء

فان قابيل يظن ظنا يملأه الأثم أن آدم قد تواطأ مع هابيل على زواجه من اقليما

اذن فليجعل قابيل يتلقى هذا الأمر مباشرة من السماء وليقدم كل منهما لله تعالى قربانا فمن تقبل قربانه تزوج اقليما

وفي ذلك الحين كانت القرابين تتقدم من أحد هابيل الإنسان من أسبابه نبيه ثم ترك هذا القربان فوق الجبل فإذا النار التي أرسلت ناراً تلتهم هذا القربان

وأما الذي ذلك القربان من غير ما قبل تلتهمه النار وإنما يترك طعاماً للسباع

واستدعى آدم ولديه .. هابيل .. وقابيل .. ليقربا هذا الأمر الذي أمره به الله تعالى

فتقدم قابيل وقال :

أنها الحيلة .. كان لا أفهم من هذا الدين . تلك أول براءة يريد من أهابيل الخداع

وهنا همس الشيطان لقابيل . قابيل أنت لا تتبع حتى بأوامر السماء وبل هي القلب قبل استهزاء من يقول أنه لابد أن يتزوج التوأم سواء أكان هذا القربان أم تركت هذا القربان لا . لم تقتنع الشيطان في عقله فأصبح هذا أسيراً للشيطان . ثم من تنفيذه وقال

وعلى ذلك فإن أنت عن هذه الحيلة بل وأصبح هذا تفكيرك في هذا الشيطان .. ثم شيء فانتظر بعض الشيء الذي من دراسته فهو شيء مهم لتنتبه فيه قليلاً من سرد كيف اذا تركه للتفكير أن القربان

يجب أن يقدم من ماله ما يتقرب به إلى الله أما تابيسا فقد أدركته فكرة القربان بدءاً من وحدة الله

* * *

ولنقف هنيهة أمام هذا الأمر الذي تمثله إبراهيم فريد من الله تعالى شاكراً
من تكوين [illegible] لكن
[illegible] بعد ذلك أن أمر [illegible] التي
[illegible]

[illegible]

[illegible] أن يقبل
[illegible] ولا بد
[illegible] أن يتقبل
[illegible] أن يريد الشر
[illegible] هذا الشر أو الانقياد إليه.

فهو الشر ضرورة لبستقيم وجه الخير . . فزيدون لو أحب قابيل
أن عليه وتقبل قربانه لظن أن الافتداء مسخرة لتحقيق نزواته النفسية

obeikandi.com

فازداد اثما وطغيانا

* * *

لقد وضعت القربانين على قمة الجبل وما كاد آدم وهابيل وقابيل يولونها ظهورهم حتى انبثقت من السماء نار التهمت قربان هابيل

فقال آدم — هذا حكم السماء .. ان هابيل هو الذى يتزوج اقليما

وتجهم وجه قابيل وغر لونه واصفار بت أوصاله .. ونسى نفسه ونسى ربه ونسى أدبه فارسلها فى وجـــه أبيه صيحة مدوية تفيض بالغضب ... لن يتزوج اقليما أحد سواى رضيت بذلك السماء .. أم لم ترض

وادرك أبوه أنه يعارى الجوانح على شر فحاول أن يهدىء من روعه وأن يعيد عليه درس الحياة .. ولكنه هرول مسرعا

* * *

واعتزل قابيل أهله .. وسار على غير هدى وقادته قدماه إلى الجبل يحرق الاديم ويقلب الأمر على جميع وجوهه ويبحث عن حيلة يفوز بها باقليما وكان الشيطان يفتح أمامه من أبواب الشر بابا بعد باب .. فكان يؤجج نيران الحقد فى صدره وكلما أوشكت هذه النار أن تخمد قذف الشيطان الى قلبه بوقود جديد

م يفكر قابيل مرة واحدة أن يستعيذ بالله ولو فعل لوجد الله في عونه ولكنه اتخذ الشيطان قرينا اذ كان يصور له طيف اقليما في أروع مظاهرها

فحينما أرسل قابيل بصره فثم خياطها وطيفها . . . وذلك شأن العاشقين وشأن الشيطان معهم وشأن أوهامهم التي تتجسد وتتخذ أشكالا وألوانا وكلما رأى قابيل هذه الصورة الرائعة وأدرك أنه قد حرم منها ثارت نفسه وثار غضبه وازداد حقداً على هابيل وارتسمت في خياله صور شتى للانتقام منه وابرز الشيطان فكرة الانتقام في حزم وقوة وأراد أن يرسم لقابيل طريقا يسلكه فأتى ابليس بطائر من طيور الأرض وتحول ابليس الى صورة طائر كبير أخذ يجري خلف الطائر الضعيف المسكين حتى تمكن منه وأمسك رأسه بمخالبه وأخذ يدق رأسه على صخرة في الجبل والطير الضعيف المسكين يصرخ حتى تحطمت رأسه وسكت جسمه

وكان قابيل يرى من كثب هذا النضال الرهيب بين الطائرين فلما قتل الطائر وهمدت حركته قام قابيل اليه يتحسسه فأخذ بما رأى إذ لم يكن يعلم أن هنـــاك شيئا اسمه الموت ينتهي بالمخلوق الى هذا السكون فلا يملك لنفسه حولا ولا قوة

وبرقت فى ذهنه خواطر شتى فانه لو فعل بهابيل ذلك اذن لخلد جسده ولم يعد ينافسه فيخلو له وجه اقليما

* * *

واستبد به هذا الخاطر كما يستبد روح الشر بالانسان العاشق الذى لايرى إلا لذته ممثلة فى كل شىء وقد يندفع إلى الجريمة لقضاء مأربه فانتشى قابيل فرحا وأخذ يتغنى فى وحدته سرورا بهذه الحيلة التى اكتشفها .

لقد وقع فى الفخ الذى نصبه له الشيطان وتتلمذ عليه وحفظ أساليبه وهكذا يستعذب المجرم الجريمة مادامت طريقا الى غرضه

فأخذ يتجه صوب قابيل وهو قائم عند أغنامه يرعاها ويذكر الله ويجيل نظره فى الفضاء العريض الذى يسبح كل شىء فيه لخالق الأرض والسماء

فلما رآه هابيل مقبلا نحوه وهو يتغنى فرحا سر لذلك هابيل لطهارة نفسه كل السرور وظن أن أخاه قد أقلع عن غيه وأنه انفلت من أسار هذه الفتنة التى كبلته باغلالها فتقدم نحوه مادا ذراعيه يريد أن يحتضنه ويقبله قائلا له لعلك قد ندمت على هذه الاساءة التى قدمتها لنفسك وأن الله تعالى قد فتح عليك بالتوبة عن معصية أبيك وأنقذك

من هذا الضلال الذى كنت موشكا أن تتردى فى حمأته

ثم أردف يقول

أقسم لك ياقابيل أنه ليس شىء أحب الى نفسى من تحقيق رغباتك لو كان فى هذا الخير ولكن أبى يقول أن ذلك اختيار الله وليس لنا إلا الطاعة والانابة ولقد كنت أقدم القربان وأنا ابتهل فى قرارة نفسى أن تكون الفائز لتهدأ نفسك ويطمئن قلبك

* * *

ونظر اليه قابيل فى ذهول عميق ولم يجب

انه مشغول بصورة الطير المقتول .. هذا الطير الذى صرخ صرخة واحده ثم تلاشى صوته فى الفضاء العريض وهدأت حركته

وبدت هذه الصورة تماما مجسمة فى ذهن قابيل .. تريد أن تبرز بدافع شيطانى الى دنيا الواقع

ان هابيل هذا يجب أن يتلاشى من الارض . يجب أن يزول أو يتبخر وان تتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق

أما وهو قائم ليحول بينه وبين اقلها فلا بد من تمثيل قصة ذلك الطير الذى صرخ صرخة واحدة ثم هدأت حركته

obeikandl.com

لقد استغرق قابيل فى ذهول عميق .. ان الفكرة قد نبتت فى ذهنه وان العزم قد استقر

ولكن كيف يبدأ التنفيذ

لقد أخذ يحوم حول اخيه ويدور يقترب اليه ثم يبتعد ونظره شارد الى الافق البعيد وقال

سينتهى اليوم ما بيننا يا هابيل .. انى سأقتلك .

وحاول هابيل أن يبتسم ليخفف من غلواء الشر .

وأضرمت هذه الابتسامة تار الحقد الكمين فتقلص وجه قابيل وارتجفت يداه وهو يمدهما فى قوة وعزم نحو عنق أخيه وقد تطقمت عيناه بالشر .

قال هابيل — لاتقتلنى فتبوء بإثمى وتكون من الظالمين فانك لو مددت إلى يدك لتقتلنى فلن أعاملك بالمثل وانما سأدع يدى الى جانبى فانى أفضل ان تقطعا على أن تمدا إلى أخى بسوء .

انى أقوى منك جسما ولكنى سأدع نفسى للاقدار وأذكرك مرة أخرى يا قابيل أن لاتقتلنى فتبوء بإثمى وتكون من الظالمين .

فازداد قابيل شراً واستجمع قواه المتوثبة فى يديه وضغط بهما على عنق هابيل وأخذ يضغط .. ويضغط وعيناه يكاد ينبثق منهما الشرر .

وأرسل هابيل صوتا ضعيفا خافتا يتفذ فى قوة وعنف من منجرته التى ضيق عليها قابيل الخناق .

ولكن هذا الصوت وقف على شفتيه فلم يسمعه قابيل .. وما كان ابيل فى حاجة إلى كلام يسمعه .

إنه يسمع تلك الصرخة الواحسدة التى ندت عن صدر الطير المقتول ثم تلاشت فى الفضاء .

إنه يريد أن يسمعها مرة أخرى لا من الطير فى هسذه المرة .. ولكن وا أسفاه من أخيه الحبيب .

ولم تند عن هابيل صرخة .. لقد ذكر الله ونظر الى الحياة نظرة وداع وطاف بخاطره صور أبيه آدم وأمه حواء واخوته ، وتلك الشمس المشرقة وذلك الجبل الرابض وكل هؤلاء يسبحون الله .

إن صورهم جميعا تتبسدى له فى لحظاته الأخيرة فى شىء يشبه الغمام وأصواتهم تطرق مسامعه ..

وأمسك قابيل برأس أخيه وأخذ يدق هـذا الرأس دقا شديداً متصلا على الصخر .

وذهبت حرارة الجسد الطاهر وهوى جسد هابيل مسترخيا على الأرض .

obeikandl.com

ثم لم يدعه قابيل .. لقد ظل قابضاً على الرأس يدقه ويدقه حتى تناثر أشلاء فى الفضاء

وأخيراً ..

تنبه إلى أن هابيل لم يعد يبدى صراخا .. إنه لم يصرخ تلك الصرخة التى أرسلها الطير ولكن ماذا يهم مادام قد أصبح جثة هامدة لاحول لها ولا قوة .

ووقف قابيل ينظر الى الجثة .. يحركها يمينا وشمالا .

وشعر فجأة كأن مطرقة من الحديد هوت على أم رأسه فهو يترنح وتصور الدنيا وقد أمست ظلاما يكتنفه من كل جانب .. وهو يكاد يسمع الجبل والشجر والارض والماء كل ذلك يصب عليه اللعنات .

لقد هدأ جسد هابيل .. ولكن هذا الهدوء لم يرح قلب قابيل .. وانطبعت صورة الجثة دلى وضعها هذا فى ذهنه .

وحاول أن يغمض عينيه حتى لا يراها .

ولكن هيهات ..

* * *

obeikandl.com

لقد كان قابيل أول رجل يشتهي امرأة على الارض .

وكان أول من ارتكب جريمة في سبيل هذه الشهوة .

لقد نبتت الشهوة على الارض ومنها انبثقت دماء الجريمة .

وكان الانسان الطاهر .. هابيل .. أول ضحية للشهوة والجريمة .

* * *

ودارت الأرض تحت قدمي قابيل .. وهاجمه ندم مريع قتال .. وشعر بألم محض يكاد يعتصر قلبه ..

ولكن ماذا ينفع كل هذا الآن .. فانهمرت من عينيه الدموع .

وتبدت له صورة اقليما .. فراعه حسنها .. ولكن راعه أكثر وأكثر هذا الثمن الباهظ الذي اقتضاه .

انه ثمن دفعه من انسانيته .. فليس الذي يقتل أخاه بإنسان لعله وحش .. أو لعله شيء آخر دون الوحوش .

فهو لم يبصر بعد وحشان يقتتلان .

ولكنه أبصر طائرين وكان أحدهما الشيطان

وهكذا خدع قابيل

لقد عرف أنه الشيطان .. ولكن ماذا تجدي هذه المعرفة الآن

* * *

obeikandi.com

وانتابه مايشبه الجنون فأخذ قلب الجثمان البادى أمامه فى استسلام غريب ذات اليمين وذات الشمال

ولكن الجثمان لايتحرك

وأخذ يصرخ وينادى هابيل .. هابيل

ورددت الجبال صدى الصوت . ثم لم يسمع للنداء جوابا ولم يعد يدرى ماذا يفعل .. هل يترك أخاه ويذهب وحيدا لقد حمله على ظهره وسار به على غير هدى

ولكن الى أين ..؟

انه لايجسر أن يذهب الى ابيه وأمه وهو يحمل أعز الناس اليهما وقد أزهق روحه .

لقد سار .. وسار .. أياما وليالى .. ثم أياما أخرى بقشات من خشاش الأرض ثم يقوم مجنونا يحمل الجثة من جديد وبين الحين والحين ينادى . .

هابيل .. هابيل

حتى ظهر ريح الجثة .. وكان هابيل أكرم عند الله تعالى .. من أن يدع جثمانه الطاهر لهذا المجنون

وكان قابيل عند الله تعالى احقر من أن يتلقى من السماء وحيا يرشده إلى ماذا يفعل .

أنه حقير قد انحط إلى مادون مرتبة السوائم .

إذن فليتلق عن الطيور دروسه وعلمه ليدرك أن هذه الطيور أكثر علما وادراكا للحقائق من ذلك الإنسان المخبول فأرسل الله تعالى غرابين يقتتلان فقتل احدهما الآخر .. ثم حفر له بمنقاره حفرة ووارى جثته تحت التراب .

☆ ☆ ☆

هنا فاضت عيناه بدموع غزار واخذ يحفر التراب بيديه وكلما حفر شيئا من تراب مرغ فيها وجهه .. فاختلط التراب بالدموع وهو ما ينفك بين الحين والحين يقف شارد اللب كالمجنون ينادى اخاه لعله يجيب .

فلا يسمع إلا صدى الصوت .. يليه ضحك مستهزىء يكاد يسد منافذ الجبال يرسله الشيطان كالرعد فرحا وشماتة .

حتى أتم حفر القبر .. ثم رفع الجثة .. ووارها التراب .

وجلس .. يبكى .. ويبكى .. ويطيل البكاء

ثم أنهار حطاما على القبر الطاهر كأنه يسمع صوت اخيه ينبعث من تحته يقول

أنى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين

ففزع إذ سمع لأول مرة بعد قتل أخيه صوته ينبعث من تحت التراب .

تولى مدبرا يجرى على غير هدى يريد أن يهرب من الصوت ولكن عبثا كان يحاول .

فحيثما توجه كان الصوت يرن فى أذنيه رنينا .

أنى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار

بعـــد الزواج

كان قابيل يغط فى نومه والليل مسدل أستاره على الكون وقد هدأت الاصوات إلا أصوات السباع التى تنبعث من الفـــلاة . ولكن صوتا أكثر نكرا من هذه الاصوات قد شق سكون الليل . انه صوت مجرم آثم يتعذب

فقد تزوج قابيل اقليما ومرت على ذلك أيام وشهور ولكن هذه السعادة التى خالها لم تأت صافية فان مثلها كمثل الانسان الذى يتجرع كوبا من الشراب السائغ قد امتلأت بالدم او كمثل الذى يرتدى ثوبا من حرير فتبرز من هذا الثوب أشواك تدمى جسده

حيثما تجول فثم شبح هابيل الوديع الحكيم يطالعه .. انه

يبصر أخاه قائما يصلى فى أقصى الجبل تحت ظلال الشجرة العتيقة لوارفة فيطفر قلبه فرحا ثم يجرى . . ويجرى . . وكلما جرى رأى لصورة تبتعد وتبتعد حتى يدرك أخيراً أنه يجرى وراء سراب

لقد مات قابيل . . ولقد وسده بنفسه التراب بعد أن أسكن أنفاسه فيالليل

ويعود الى بيته مهموما مدحورا يلاحقه شبح أثمه وتجرى اليه زوجته اقليما التى فاز بها متحديا كل توجيه . وعصى أباه فاذا به يراها الآن أصل كل بلاء

أنها تجرى نحوه تسأله عما به فيدفعها عنه فى عنف ويخلد إلى الفراش . . وفى الفراش أنه يتقلب على شوك القتاد وأن الفراش ملتهب والدنيا شتاء قارص وجسده يفور ويغلى كأنه حموم .

وتجنب قابيل الطعام والشراب

لقد ظل يتقلب فى فراشه ذات مساء وأنه يقفز من فراشه ليدس فى أذنيه قطعا من الحصى حتى لا يصل اليه هذا النداء المتصل .. ولكن عبثا يحاول .

ان صوت الجريمة يلاحقه .. ان نداء متصلا يرن فى أذنيه

قابيل لقد قتلت أخاك

قابيل لقد قتلت أخاك

obeikandl.com

صوت من هذا .؟ انه ليس صوت أبى . وليس صوت أمى ..
وليس صوت اقليما ولا لبودا

فهل يكون هو صوت هابيل الحكيم الوديع

كلا ـــ ثم كلا ـــ فان هذا الصوت .. صوت منكر قبيح وأقبح هابيل أعظم من أن يعاقب أخاه حتى بعد موته

لقد ترك الامر الى الله بل لعل هابيل يسأل ربه له العفو والمغفرة

إذن فمن يكون صاحب هذا الصوت

انه ينادى من أنت . أجب .. أجب .

* * *

فيأتيه الجواب من بعيد .. أنا .. أنا .. ؟

أنا ذلك الطير الذى دق رأس أخيه

أنا ذلك المخلوق الذى طرده أبوك من الجنة

أنا ذلك الرفيق الذى يؤنس وحشتك . انى أذكرك الآن بجرمك ياقابيل انى أقول لك لقد قتلت أخاك . وسأظل أقولها وأرددها حتى أحطم أعصابك لن تنسى جريمتك . سأدعها ماثلة أمام عينيك لن تفر منى .

أجل لن تفر منى .. محال .. ثم محال

obeikandl.com

ويهم قابيل من نومه مفزوعا

ان الصوت قريب منه جداً فلا بد أن يكون المتكلم قد اقتحم عليه الكهف أنه يبصره ويلاحقه وقد رفع حجراً يريد أن يحطم به رأسه

فاذا بهذه الصورة تتلاشى

ولكن الصوت يبقى مردداً

قابيل . . لقد قتلت أخاك

ويهم قابيل أن يضرب رأسه بالحجر ليستريح وإذا باقليما تتبدى له فى اروع وأجل صورة تحمل عنه الحجر وترده عنه وتلاحقه وتقبله فيبكى بين يديها

وفجأة يستفيق من غفلته ليرى اقليما نائمة تغط فى نومها لاتلقى بالا اليه ولا الى هواجسه

وان هذه الصورة التى بدت له هى الشيطان قد اتخذ من طيفها سلاحا امعانا فى النكاية به . فينادى ويلى . . ويلى . .

الى أين المفر . .

ويهم بأن يقتل اقليما . . ولكن شيئا يقف فى قلبه يرده عنها .

انها الشهوة . . ان هذا الجسد متاع لك يا قابيل .

انك لن تفعل . . لقد فزت بهذا الحسن .

بل لو برز اليك هابيل من قبره .. فانك لن تتردد أن تقتله مرة أخرى .

* * *

إنك مجرم .

مجرم مصر على اثمه واجرامه .

انك عبد الشهوة .

ولن تجد لنفسك فكاكا منها .

وهكذا كل عبيد الشهوات .

* * *

واخيرا تنحط أعصابه فينام .

ولكن ما هذا ..؟

إن صورة الجبل تتبدى له وإن هذا القربان الذى قدمه بيديه ينهض قائما ثم هذا قربان أخيه وهذه نار تنقض كالصاعقة فتأخذ قربان هابيل .

وأما قربانه هو .

هل تأكله السباع ..؟

obeikandl.com

ولكن السباع لم تتقدم .. وإن القربان يتمخض وأنه يتحول إلى شيء لزج مائع تسيل منه الدماء .. إن الدماء تسيل من الجبل انهارا .. أنها السيل . ان الدم يغطى أديم الأرض فى كل مكان .

حتى المياه قد انعكس عليها لون الدم فأصبحت حمراء .

وتظل الدماء تسيل وتسيل .. انها تجرى مندفعة كالسيل تلاحقه كأنه يسبح فى بحر من الدماء .

وفجأة يصرخ ويستغيث .

لقد أشتعلت هذه الدماء فأصبحت ناراً .

ان قابيل يحترق بدماء أخيه .

وان الصوت المنكر البغيض يردد .. ويردد .

قابيل .. لقد قتلت أخاك .

لقد بؤت بإثمه وإثمك .. فأصبحت من أصحاب النار .

ويل لك يا قابيل ..

أنه يهب من نومه منزعجا ليلقى عذابا فى اليقظة اكثر مرارة من مزعجات الأحلام .

انتظر الرسالة التالية

obeikandi.com

انتظر . . الرسالة التالية من قصص الأنبياء

نوح عليه السلام

بأسلوب تحليلي قصصي مبتكر

obeikandl.com